دار القاسم

المعلم وذي اليتيم

المملكة العربية السعودية - الرياض طريق الملك فهد بين شارعي التلفزيون والخزان
ص . ب ٦٣٧٣ الرياض : ١١٤٤٢ هاتف : ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس : ٤٠٣٣١٥٠
موقعنا على الإنترنت www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فإلى كل معلم ومعلمة قصة تكتب بمداد الذهب، إنها قصة معلم مع طفل يتيم رباه تحت عينيه وسقاه من نبعه حتى أثمرت النبتة واستقام عودها! وتلك أمنية كل معلم مع طالبه..

فإلى هؤلاء.. هل سمعتم بقصة المعلم وزيد اليتيم؟

أما المعلم فهو أول معلم وأكمل قدوة وأفضل ناصح وأبلغ موجه، وأكثر إخلاصاً وإنتاجاً إنه محمد ﷺ.

وأما زيد اليتيم فهو زيد بن ثابت بن الضحاك ـ رضي الله عنه ـ كان يتيم الأب، توفي أبوه في بعاث وعاش في كنف أمه.

وكان عمر زيد إحدى عشر سنة، أي أنه يعادل طالباً في الصف الخامس الابتدائى في عصرنا. فما بوسع ذلك المعلم أن يعمل لطفل يتيم كزيد.

سمع زيد بالنبي ﷺ وبأخلاقه وصفاته من قبل أن يراه، وهذا بفضل والدته.

ويأتي موعد اللقاء بين زيد و اليتيم معلمه ﷺ، فكان ذلك عندما أراد المعلم القدوة الخروج لغزوة بدر، جاء زيد بطلب يدل على حبه لمعلمه ومعه أمه تبارك هذا الطلب.

قال زيد: أريد أن أكون معك يا رسول الله، أنظر طفل في الحادي عشر من عمره يريد أن يرافق معلمه في كل مكان لأنه يحبه.

وجاء رد المعلم الرحيم بأبنائه المتلطف لهم باعتباره الموضح لأسباب رفضه أن أمسك بيديه الحانية على رأس زيد وكتفه ليهمس له ابتسامة يملأها الحب لزيد: ليس الآن فما زلت صغيراً يا زيد.

وكعادة الطفل عندما لا يقبل طلبه رجع زيد حزيناً على عدم مرافقته لحبيبه ﷺ، وأمه خلفه تعيش معه أحزانه وهمومه.

ولكن.. ما أن وصل زيد إلى منزله إلا وذهب حزنه بسبب دفء أنامل معلمه التي كان لها الأثر الكبير في نفس زيد، فقرر زيد أن يطور تلك العلاقة، وشعر أن معلمه ورسوله ﷺ يحبه كثيراً، لأنه اعتذر إليه اعتذار الأب الحاني والمعلم المخلص.

ففكر زيد بفكرة تقربه من ذلك المعلم، فكرة لن يرد فيها لصغر سنه، إن هذه الفكرة كانت في مجال العلم والحفظ، فذكر زيد الفكرة لأمه ففرحت بها فرحاً كبيراً وعزمت على مساعدة ابنها في تحقيق طموحه.

وبدأ زيد اليتيم يتعلم القراءة و الكتابة ويحفظ ويتعلم وحوله أمه تشجعه، حتى حفظ سبعة عشر سورة من كتاب الله، وتعلم القراءة والكتابة.

وعندما وصل زيد إلى ما وصل إليه أرسلته أمه مع بعض رجالات قومها إلى المعلم القدوة، وقالوا له يانبي الله هذا ابننا يحفظ سبعة عشر سورة من كتاب الله وهو حاذق يجيد القراءة والكتابة، وهو يريد أن يتقرب بذلك إليك وأن يلزمك فاستمع منه إذا شئت.

ولكي يتأكد الرسول ﷺ من فطنة زيد وحذاقته قال له: اقرأ فقرأ زيد من سورة (ق) كما في صحيح البخاري، فإذا هو مشرق الأداء ذا تلاوة تنم عن تأثر بما يتلو، ﷺ لكتابته فكانت تحمل حسن الخط وجماله، فسر به معلمه، وفرح به فرحاً شديداً.

وعندها قال له النبي ﷺ اكتب الوحي يا زيد، فسبحان الله زيد اليتيم الطفل يكلفه معلمه بأشرف الأعمال وبأعظم كتابة، إنها كتابة الوحي، فلله درك يا زيد تم لك ما أردت بالقرب من معلمك وحبيبك محمد ﷺ.

يقول ابن عبدالبر: (كان زيد ألزم الصحابة بكتابة الوحي).

وبعد ذلك جاء دور المعلم البارع في تكليف طلابه بأعمال

حسب قدراتهم يشعرهم بها بأنهم أصحاب هدف ومسؤولية ولهم أهمية وهذ ما يفقده أبناؤنا اليوم.

فقد طلب رسول الله ﷺ من زيد أن يتعلم اللغات.

فقد قال رسول الله ﷺ لزيد كما في صحيح البخاري: «يا زيد تعلم لي كتاب اليهود، فإني والله ما آمنهم على كتابي».

ولكم أن تتخيلوا معنى هذا الموقف معلم قدوة يطلب من ذلك الطالب الذي يحبه هذا الطلب الذي يحتاج إلى جهد الكبار، فكيف ستكون الاستجابة من زيد اليتيم؟.

قال زيد فما مضى نصف شهر حتى حذقته وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب لهم.

لقد أصبح للطفل اليتيم زيد شأن عظيم في أمته بفضل معلمه ﷺ.

وعندها تأكد المعلم من ذكاء زيد ونبوغه وحبه له، فأراد أن يرفع همته بطلب آخر.

قال زيد: قال لي رسول الله ﷺ، أتحسن السريانية، إنها تأتيني، قلت: لا. قال: فتعلمها. قال زيد: فتعلمتها في سبعة عشر يوماً، كما في الإصابة.

وذكر ابن كثير أن زيداً تعلم الفارسية من رسول كسرى، وتعلم الرومية من حاجب رسول الله ﷺ والحبشية من خادم الرسول ﷺ، والقبطية من خادم رسول الله ﷺ.

انظروا إلى الإنجاز بسبب حب المتعلم للمعلم.

العربية واليهودية والسريانية والفارسية والرومية والقبطية إنه إنجاز عظيم لزيد وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره.

لقد أصبح زيد الآن وزير الخارجية الأول للدولة الإسلامية وهو المطلع الأول على أسرار الدولة وما تأتيها من مراسلات أو ما ترسله من مخاطبات.

فهل سيقف المعلم ﷺ عن التوجيه..؟

وهل سيقف زيد عن التنافس والعطاء..؟

القاعدة تقول: (إذا كان هناك حب في الله فسيستمر التوجيه ويستمر العطاء).

ويوم من الأيام كان المعلم ﷺ جالساً مع أصحابه، وكان زيد اليتيم، بل زيد الوزير جالساً في مجلس معلمه، «فقال رسول الله ﷺ: تعلموا الفرائض وعلموه، فإني أمرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض حتى يختلف الاثنان في الفريضة فلا يجدان أحداً يفصل بينهما».

والآن منعطف جديد لزيد الوزير، إنه ليس في مجال الحفظ بل هو في مجال الميراث وتقسيمه، مسائل حسابية معقدة لا يتقنها إلا صاحب قدرات عقلية عالية.

فماذا سيفعل زيد..؟ إنه يحب معلمه ﷺ.

فما أن سمع زيد كلمات معلمه عن تعليم الفرائض ما كان منه إلا أن شمر عن ساعد الجد لتحصيل ذلك العلم والخوض فيه. والنتيجة..

بعد فترة وجيزة يصبح زيد أعلم الصحابة في علم الفرائض، نطق ذلك معلمه ﷺ «أفرض أمتي زيد بن ثابت».

يقول جعفر بن بركان: سمعت الزهري يقول: (لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض لرأيت أنها ستذهب من الناس).

وتأتي غزوة الخندق ويتجدد طلب زيد بأن يكون مع معلمه بعد أن أصبح عمره خمسة عشر سنة، بل بعدما أصبح زيد بأن يكون مع معلمه بعد أن أصبح عمره خمسة عشر سنة، بل بعدما أصبح زيد اليتيم وزيراً وكاتب وحي وأعلم أمة محمد بالفرائض، وهنا قبله معلمه ﷺ لأن السبب الذي رد من أجله في بدر قد تلاشى.

وفي أثناء حفر الخندق وزيد يحفر مع معلمه بلغ منه الجهد مبلغه فنام فجاء عماره بن حزم فأخذ سلاح زيد وهو لا يشعر،

فقال المعلم ﷺ: يا أبا رقاد نمت حتى ذهب سلاحك، ثم قال رسول الله ﷺ من له علم بسلاح هذا الغلام فقال عماره بن حزم: أنا يا رسول الله أخذته فرده، فنهى رسول الله ﷺ أن يروع المؤمن وأن يؤخذ متاعه لعباً وجداً.

وبعد المعركة «قال رسول الله ﷺ عن زيد: **أما إنه نعم الغلام**».

انظر إلى هذا التشجيع المعنوي بالألفاظ وتخيل كيف وقعه على قلب زيد وبعد المعركة كساه الرسول الله ﷺ ثوباً رقيقاً من ثياب مصر. قال زيد: «أجازني رسول الله ﷺ يوم الخندق وكساني قبطيه».

يالله.. ما أروع ذلك المعلم!! تشجيعاً معنوياً، من ثم تشجيع مادي، فأي أثر من المحبة بهذا التشجيع الهدية على قلب زيد وكل متعلم..؟

ومن أصعب الأيام التي سوف تواجه زيد اليتيم عندما يكتمل يتمه بموت معلمه ﷺ ليعيش زيد اليتيم الحقيقي بفقده الرحيم على أمته محمد ﷺ، ولكن وإن مات المعلم فستبقى كلماته تعيش بين الأحياء، فها هو زيد يسير في شوارع المدينة بعدما فقد المعلم الذي علمه معنى السعادة الحقيقية، ومعنى الطموح، ومعنى الإنجاز ومعنى الحب والرحمة والشفقة، وبينما زيد يسير وإذ بالمسلمين مجتمعون في ثقيفة بني ساعدة لينتخبوا خليفة المسلمين، وإذ بالأنصار يقولون نحن أحق بالخلافة والمهاجرون يقولون نحن أحق بها، ودب الخلاف بين الفريقين.

إنه أول خلاف للأمة بعد وفاة النبي ﷺ وإنه أول موقف لزيد بعد وفاة معلمه.

ويقوم زيد المتربي في مدرسة محمد ﷺ فقال: «إن رسول الله كان من المهاجرين ونحن من الأنصار، وإنما يكون الإمام من المهاجرين ونحن من أنصاره».

فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: «جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار وثبت قائلكم». فتوحد صف المسلمين على أبي بكر.

لله درك يا سيد، وجزاك عن أمتك كل خير.

من علمك حسن المنطق وسرعة القرار وشجاعتك في الحق والتجرد لله ولرسوله..؟

إنه معلم قد مات ولكن بقيت كلماته وأوامره ونواهيه وتوجيهه وحبه منقوشة في قلوب أصحابه.

إنه ثمار من ثمار التربية على حب الله ورسوله ﷺ.

لقد أصبح زيد بهذه الإنجازات مؤهلاً بأن يكلف بالمهمات الكبرى لأمته.

ولذلك اختاره أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لأشرف مهمة وأعظم مهية وأي شرف أعظم من جمعه لكتاب ربه «جمع القرآن الكريم».

فقد مات رسول الله ﷺ ولم يجمع القرآن قال زيد: توفي النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء.

وكما عهدناه فزيد الذي علمه معلمه الاستعانة بالله والتوكل على الله والعمل بالأسباب، وخدمة أمته في مجال من المجالات سوف يواصل المسيرة، فهو الذي كتب القرآن في زمن معلمه، والآن يكلف بأن يجمعه في السطور بعدما جمعه في صدره.

سبحان الله، قبل سنوات كان زيد من عامة أطفال المسلمين، أما اليوم فزيد صاحب المهمات الصعبة في أمة الإسلام، وشرع زيد في هذه المهمة، واتبع طريقة تنم على إتقانه وحرصه على كتاب ربه، فهو لا يثبت شيء من القرآن إلا إذا كان مكتوباً بين يدي النبي ﷺ ومحفوظاً من الصحابة، وكان زيد لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة، وأيضاً كان لا يقبل من أحد شيئاً من القرآن إلا إذا أتى معه بشاهدين، يشهدان بأن ذلك المكتوب قد كتب بين يدي معلمه ﷺ.

وقفة:

من علم زيد هذا الإتقان؟

وبعد هذا الإنجاز ملك زيد ثقة الخلفاء الراشدين، فقد كانوا

يولو الحكم في فترة غيابهم، وأصبح بمثابة ولي العهد للدولة الإسلامية، قال نافع، عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ «كان عمر يستخلف زيداً إذا حج وكان عثمان يستخلفه أيضاً على المدينة إذا حج. وعن سليمان بن يسار قال: ما كان عمر وعثمان يقدمان على زيد أحداً في الفرائض والفتوى والقراءة والقضاء.

وقفة:

والآن أيها المعلم والمعلمة والطالب والطالبة، أصبح زيد اليتيم:

١ـ كاتباً للوحي ٢ـ وأعلم أمة محمد ﷺ بالفرائض

٣ـ وزير دولة للشئون الخارجية. ٤ـ جامعاً للقرآن.

٥ـ ولي عهد للخلفاء الراشدين.

فما نقرأ آية من كتاب الله إلا ولزيد أجرها، وما انتشر الإسلام في الأمصار إلا ولزيد ثوابها، فأول الرسائل إلى تلك البلاد سطرتها أنامله من فيه معلمه ﷺ وما مات ميت ووزع ميراثه إلا ولزيد الأجر والحسنات، هذا كله لزيد. فمن علمه، ومن درسه، ومن وجهه ، كان له الأجر الأكبر والمثوبة الأعظم، فصلى الله على معلم الناس الخير.

وفي سنة خمس وأربعين للهجرة توفي زيد رحمه الله، توفي الوزير القارىء وولي العهد الفرضي، توفي زيد والناس لا يزالون بحاجة إلى علمه وفقهه. يقول أبو هريرة حين مات زيد بن ثابت «اليوم مات حبر هذه الأمة» وأخيراً أيها المعلم كم من زيد على مقاعد الدراسة..

يؤمل فيك وينتظرك

والأمة بأسرها تنتظره

والدال على الخير كفاعله

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.